Kalimah: Jurnal Studi Agama-Agama dan Pemikiran Islam
DOI: http://dx.doi.org/10.21111/klm.v17i2.3427

تفسير آية كُنْ فَيَكُوْنُ في القرآن عند الرازي

Muhammad Badrun Syahir[*]
Universitas Darussalam (UNIDA) Gontor
Email: marun.elgo@gmail.com

Faridah Aryani[*]
Universitas Darussalam (UNIDA) Gontor
Email: zeizafunnisa@gmail.com

Abstract

The incorrect understanding of the verse Kun Fayakūnu is closely related to theological issues. Al-Razi a mufassir who prioritizes ilm kalām, uses the method of interpretation by mentioning the thoughts of Mu'tazilah, Karamiyah, and other deviant groups, then criticizing them based on the school of ahlu al-sunnah wa al-jamā'ah. He interpreted where the purpose of the verse is the speed of the breakdown of God's power and His will in creating creatures or carrying out something new without anyone being able to oppose Him. Al-Razi interpreted that the command to what did not yet exist was not true, because what did not yet exist was invalid as something. While Allah's words are qadīm, while Allah's chanting with the word Kun is muḥdats, then the original will is passed on to the will which depends on His commands with Kun's words.

Keywords: *Kalām, Kun Fayakūnu, al-Razi, Creation, Allah's will*

Abstrak

Pemahaman yang keliru terhadap ayat Kun Fayakūnu berhubungan erat dengan permasalahan teologi. Al-Razi, seorang mufassir yang mengutamakan ilmu kalam, menggunakan metode penafsiran dengan menyebutkan pemikiran Mu'tazilah, Karamiyah, dan kelompok menyimpang lainnya, kemudian mengkritiknya berdasarkan mazhab ahlu al-sunnah wa al-jamā'ah. Ia menafsirkan dimana maksud ayat tersebut adalah kecepatan tembusnya kekuasaan Allah dan kehendak-Nya dalam menciptakan makhluk atau mengadakan sesuatu yang baru tanpa ada yang bisa menentang-Nya. Al-Razi menafsirkan bahwa perintah terhadap yang belum ada tidaklah benar, karena yang belum ada tidak sah disebut sebagai sesuatu. Sementara perkataan Allah adalah qadīm, sedang pelafazan Allah

[*]Universitas Darussalam Gontor. Jl. Raya Siman 06, Ponorogo Jawa Timur 63471. Telp: 0352-483764, Fax: 0352-488182.

dengan kata Kun adalah muḥdats, maka kehendak yang azali diteruskan menjadi kehendak yang bergantung pada perintah-Nya dengan perkataan Kun.

Kata Kunci: *Kalām, Kun Fayakūnu, al-Razi, Penciptaan, Kehendak Allah.*

مقدمة

اشتهرت آيةُ (كُنْ فيَكُوْنُ) بين أظهر المسلمين. فإنّ الناس أمام الله بين الكاف والنون، إن يشأ يَكُنْ وإن لم يشأ لم يَكُنْ. وذُكِرت هذه الآية في القرآن ثمانيَ مرّات. وليس المراد بها أن يقول الله كُنْ فحينئذ يَكُونُ ذلك الشيء مُباشِرا، مع أنّه ما فَهِمَه العوّام. فقد أخطؤوا في فهمها لاعتقادهم بأنّ الله إذا أراد أن يُحدِث شيئا أنّه لا يُحدثه إلّا بهذا القول، فرأوا بدوام اعتماد الله عليه، فهو إيجادٌ دونَ عمليّةٍ. ويؤدّي هذا الاعتقاد إلى تفكير غير منطقيٍّ، فكان باطنيّا خرافيّا. ولَكان رجل بهذا الفهم غيرَ مُبتكرٍ كسلانا ومعتمدا على قول كُنْ فيَكُوْنُ. ولو وقع هذا لسوف يكون المسلمون في الجمود. فيلزمهم التعمق في فهم المعنى أي التفسير.

فالمسائل تتعلّق بفهم المجتمع العام للآية. وكذلك المسائل الكلامية الداخلة فيها كمسألةِ الأمر للمعدوم، وحَمْلِ هذه الآية إلى المعنى المجازي أم إلى المعنى الحقيقي، ومسألةِ قِدم أمره بِكُنْ وحدوثه. فلا يهون تفسيرها. فلذلك اختارت الباحثة تفسير الرازي لأنّه قدّم علم الكلام، ولكثرته في الاتجاهات الكلامية. وكتب عنه الذهبي أنّه نهج في تفسيره بإظهار مذهب المعتزلة بذكر أقوالهم وردّه عليها ردّا لا يراه البعض كافيا ولا شافيا.[١]

ونهجت الباحثة بمنهجين رئيسيين لديها، وهما المنهج الوصفي والتحليلي، وكذلك القليل من المنهج العقلي في التفسير. فالمنهج الوصفي هو التصوّر الدقيق للعلاقات المتبادلة بين المجتمع والاتجاهات بإعطاء صورةٍ للواقع الحياتي.[٢] واستخدام الباحثة المنهج التحليلي لأنّه منهج على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكا

[١] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج. ١، ط. ٧، (القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٠ م)، ٩٠٢.

[٢] وجيه محجوب، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط. ٢، (عمان: دار المناهج، ٥٢٤١ هـ — ٥٠٠٢ م)، ٣٤٢-٤٤٢.

أو تركيبا أو تقويما. وهي تريد أن تأتي بالتفسير من آية كن فيكون عند الرازي والتعليقات والاستنباط لها بدون نقدها، ولو كان ذلك ممكنا به.[٣]

وكان الفهم الفاسد بين العوّام من المسلمين يتعلّق بالاعتقاد لمعنى هذه الآية. والمسائل الكلامية فيها كذلك تضع معنى لها. وقد ظهر النزاع والخلاف بين آراء المفسرين والمتكلمين لتفسيرها. فقد اقتضت هذه المسائل المتباينة إلى تحليلها وجوابها. ويُرجى بهذا البحث إصلاحُ الفهم الخاطئ والباطل بين المجتمع خصوصا للعوّام المسلمين لهذه الآية بمعرفة تفسيرها الصحيح كما شرحه الرازي.

فخر الدين الرازي والتفسير الكبير

الإمام فخر الدين الرازي هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، الرازي، المعروف بابن خطيب الريّ. وُلد الرازي في التاريخ ٥٢ من رمضان سنة ٣٤٥ من الهجرة، وقيل سنة ٤٤٥ من الهجرة المعادلة بسنةِ ٩٤١١ الميلادية بمدينة الريّ *(Ray/Rey/Rhages)*. وحضنه أبوه الإمام ضياء الدين عمر. وتعلّم الرازي منه علم الأصول وفروع المذهب الفقهي حتى يتأثّر به.

وصار بعد وفاة أبيه متأثّرا كذلك بالشيخين، هما الكمال السمناني والمجد الجيلي، فَهُم أساتيذه الأوّلون. وأخذُه العلومَ منهما برحلاته العلمية إلى سمنان *(Semnan)* لتلقّي علوم المذهب الفقهي من الكمال السمناني. ثم عاد منها إلى الريّ لتلقّي علوم الكلام والحكمة من المجد الجيلي.[٤] ثم توجه إلى خوارزم بعد أن نبغ فيها. وجرت مناظرات عنيفة بينه وبين المعتزلة في المذهب والاعتقاد. فأخرجته منها، ثم قصد بخارى *(Bukhara)* وتوجه بعده إلى سمرقند *(Samarkand)* وخجند *(Khujand)* ثم عاد إلى بخارى، وقد رحل

---

[٣] فريد الأنصاري، **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، ط. ١، (الدار البيضاء: النجاح، ١٤٢٧ هـ — ٢٠٠٧ م)، ٦٩ — ٧٩.

[٤] طه جابر العلواني، **الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته**، ط. ١، (القاهرة: دار السلام، ١٤٣١ هـ — ٢٠١٠ م)، ٣٧.

إلى كثير من الأقطار عقب ذلك. وأمّا وفاته ففي سنة ٦٠٦ من الهجرة بهراة.

ألّف الرازي كتبا وأهمها التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، وكان مليئا بالعلوم المتنوّعة ويُعدّ أوسعَ التفاسير في علم الكلام. وهدف الرازي كتابته للدفاع عن القرآن وإظهار كلّما فيه على ضوء القوانين العقلية، وتأييد استدلالاتِ القرآن في العقيدة بتلك القوانين، وإجابة الطاغين والردَّ عليهم لإزالة الريب من النفس بأنّ القرآن ليس منه تعالى.[٥]

تفسير الرازي عن آية كُنْ فيكُوْنُ

سورة يس الآية ٢٨

ذهب المعتزلة أنّ الآية تدلّ على كون المعدوم شيئا لقول الله لما أراده تعالى كُنْ فَيكون،[٦] مع أنّ الوجود مغاير للماهية. والوجود غير قابل للعدم، فليس الشيء في حال عدمه موجودا.[٧] وإذا كانت الحالة كذلك لا يصحّ كون المعدوم شيئا، لأنّه نفي محض وليس عينا ولا ذاتا.[٨] فردّ الرازي بتفسيره، وفسّر أنّ قول الله كُنْ فيكونُ بيان لعدم مخالفة الشيء عن تعلّق إرادة الله بأمره. فهذا جواب لإشكال المعتزلة. والله لما أراد أفعال غيره تعالى كان آمرا بتلك الإرادة. وإرادة الله صفة تخصّص وترجّح أفعاله تعالى.

---

[٥] محمد علي ايازي، **المفسرون حياتهم ومنهجهم**، ط. ١، (طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ٢١٢١ هـ)، ٣٥٦ — ٤٥٦.

[٦] فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الرازي، **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ج. ٦٢، ط. ١، (بيروت: دار الفكر، ١٠٤١ هـ — ١٨٩١ م)، ٠١١.

[٧] فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الرازي، **الأربعين في أصول الدين**، ج. ١، ط. ١، (القاهرة: مكتبة الكلّيّات الأزهر، ٦٨٩١ م)، ٤٨.

[٨] فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الرازي، **نهاية العقول في دراية الأصول**، ج. ٢، ط. ١، (بيروت: دار الذخائن، ٦٣٤١ هـ — ٥١٠٢ م)، ٢١١.

كان المعتزلة في مذهبهم متمسّكين باللفظ. ولا يصحّ هذا التمسّك لإثبات المعدوم شيئا. وقد شرح الرازي في تفسيره أنّ ما أراده الله شيءٌ حين إرادته تعالى به، وقوله تعالى إِذَا مفهومُ الحين والوقت. فالمعنى أنّ الشيء موجودٌ في زمان تعلّق الإرادة، فإذْ لم يتعلّق المعدوم بإرادة الله لم يكنْ شيئا. وذهب الكراميّة على أنّ إرادة الله محدثة[٩] بدليل قوله تعالى إِذَا أَرَادَ، بعلّة قول الله فَيَكُوْنُ بفاء التعقيب بعد تلك الآية والكون حادثٌ. وهذا المذهب باطل لأنّ صفة الله الإرادة قديمة، وحينما أراد الله إيجادَ الشيء ستتعلّق الإرادة به فيقال له أراد ويريد، وأمّا قبل التعلّق فيقال لفظ إرادة فقط والله مريد بها. فثبت أنّ صفة الله الإرادة قديمة وتعلّق الإرادة بالشيء أو ما أراد الله وجوده حادث، وكان التعلّق واجبا له.[١٠]

وقال المعتزلة والكرامية أنّ كلام الله حرف وصوت وحادث، لأنّ قول كُنْ كلام متكوّن من حرفين والحرف من الصوت. فالزعم باطلٌ لأنّ كلام الله صفةٌ حقيقيةٌ مغايرةٌ للحروف والأصوات. وشرح الرازي أنّ كلام الله قديم ولكنّ تعلّق الخطاب بذلك حادث، كما جرى في صفة الله الإرادة. فقول الله للشيء الحادث حادثٌ لأنّه مع التعلّق، وإنّما القديم قوله وكلامه دون التعلّق.[١١] فالإرادة والكلام صفتان لله قديمتان، وأمّا تعلّق الإرادة لما أراده الله وجوده وتعلّق الخطاب لما كلّمه الله حادثان. فاتضح قدم كلام الله كُنْ فيَكُوْنُ. والمعدوم أي ما لم يرد الله وجوده لا يصحّ أن يسمّى بالشيء، لأنّه ما كان موجودا.

سورة مريم الآيتان ٤٣–٥٣

لآية كُنْ فَيَكُوْنُ في سورة مريم مناسبةٌ بخلق عيسى عليه السلام. قوله تعالى ذلِكَ عِسَى ابْنُ مَرْيَمَ يشير لآية قَالَ إِنِّيْ عَبْدُ اللهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِيْ نَبِيًّا، فالموصوف بهذه الصفات هو عيسى، ويشير كذلك أنّه ولدُ مريم فليس ولدَ اللهِ.

---

[٩] المحدث هو ما كان لوجوده أوّلٌ. انظر في سميح دغيم، **موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي**، ط. ١، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٢ م)، ٦٨٦.

[١٠] الرازي، **نهاية العقول**...، ج. ٢، ٨٦٢.

[١١] الرازي، **التفسير الكبير**...، ج. ٦٢، ١١١–٢١١.

ويرجع معنى قَوْلَ الْحَقِّ إلى عيسى،[١٢] ومعنى قوله مَا كَانَ لِلّٰهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَّلَدٍ أنّ ثبوت الولد له محال. وقوله سُبْحَانَهُ دليل على تنزيهه تعالى عن الولد.

وبيّن الرازي قول الله سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ بالمسائل. وتكون هذه الآية حجّةً لمن يجعل لله ولدا. والمسألة الأولى عن كون الولد إمّا قديما أزليّا أو محدثا. واحتال أن يكون قديما أزليّا، فلو كان كذلك لكان واجبُ الوجود متعدّدا وهذا خطأ. والله واجب الوجود لا يتركّب عنه غيره فلا علاقة له بالغير.[١٣] وإذا كان محدثا كان ممكنا لذاته فيفتقر في وجوده إلى الواجب لذاته، فيكون عبدا له ولا ولدا له. ولا معنى للعبوديّة إلّا الاحتياج إلى الله. فثبت أنّه مستحيل أن يكون له ولدا، فهذا مراد قوله تعالى.

احتجّ المعتزلة بحدوث كلام الله في آية كُنْ فَيَكُوْنُ لهذه السورة كما فعلوه للسورة السابقة. وبحث الرازي عن احتجاجهم من وجوه. والأوّل رأيهم أنّ كلمة إِذَا الدالّة على الاستقبال تُلزِم وقوعَ الكلام في الاستقبال. والثاني رأيهم أنّ الفاءَ للتعقيب، والفاء في قوله فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ يدلّ على تأخّر الكلام عن القضاء فيكون محدثا. وبعده رأوا أنّ الفاء في قوله فَيَكُوْنُ يدلّ على حصول الشيء بعده حالا بلا فصل. فيتقدّم قول الله على المحدث دون فصل، فيكون محدثا. فضعف الاستدلال، وثبت أنّ كلام الله قديم لا محدث.[١٤]

والمسألة التالية أنّ مِن الناس مَن جعل آية كُنْ فَيَكُوْنُ على ظاهرها. زعم أنّ الله إذا أراد إحداثَ شيءٍ سيقول له كُنْ، فهذا ضعيف. وذلك إمّا أن يكون قبلَ حدوث الشيء أو حالَ حدوثِه. فإذا كان القول قبلَ حدوثه كان خِطابا مع المعدوم وهو عبثٌ، وإذا كان القول حالَ حدوثِه كان غيرَ مؤثّرٍ فيه لوجود القدرة والإرادة. وزعم آخرون أنّ قوله تعالى كُنْ دليلٌ على سرعة نفاذ قدرة الله ومشيئته

---

[١٢] **نفس المرجع**، ج. ١٢، ٨١٢.

[١٣] فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الرازي، **محصل أفكار المتقدمين و المتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلّمين**، (القاهرة: مكتبة الكلّيات الأزهر، د. ت.)، ٦٦-٧٦.

[١٤] الرازي، **التفسير الكبير...**، ج. ١٢، ٩١٢.

في الممكنات، فوقوعها بالقدرة والإرادة دون امتناع واندفاع يجري مجرى العبد المطيع المنقاد لأوامر مولاه، وشرح الرازي على أنّ الله عبر ذلك المعنى بالاستعارة. فوافق الرازي بهذا الزعم الأخير.

سورة الأنعام الآية ٣٧

ذكر الرازي أنّ في هذه الآية ما يدلّ على كون الله معبودا وحده. وقال أهل السنّة أنّ الله مالك المحدثات والكائنات ومتصرّف لكلّ مالك في ملكه، والتصرّف حقّ بإطلاق. وأمّا التأويل لآية وَ يَوْمَ يَقُوْلُ كُنْ فَيَكُوْنُ عند الرازي فهو قولان. وأوّلهما التقدير والله خالق السّماوات والأرضَ أو خالق الدنيا وما فيها من الأفلاك والطبائع والعناصر وخالقُ يومِ القيامة والبعث وجاعِلُ الأرواح تَرُدُّ إلى أجسادها بِكُنْ فَيَكُوْنُ. وثانيهما أنّ تأويل قولِه تعالى الْحَقّ مبتدأ وقولِه يَوْمَ يَقُوْلُ كُنْ فَيَكُوْنُ ظرفٌ وهو خبر المبتدأ. والمراد من كون قوله حقّا في ذلك اليوم أنّه سبحانه لا يقضي إلّا بالحقّ والصّدق.[١٥]

وفسّر الرازي آية كُنْ فَيَكُوْنُ أنّه ليس المراد بقول كُنْ خطابا وأمرا لأنّه كان للمعدوم، فهو يستحيل أن يُؤمر لأنّه لم يكن موجودا. والأمر للموجود بقول كُنْ محال لأنّه أمرٌ للإيجاد فلا يفيده. وإنّما المراد من قول كُنْ تنبيهٌ على نفاذ قدرة الله ومشيئته في تكوين الكائنات وإيجاد الموجودات.[١٦] وقولُه وَلَهُ الْمُلْكُ في آية وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِيْ الصُّوْرِ يفيد الحصر، فالمعنى أنّه لا يملك يوم ينفخ في الصور[١٧] إلّا الحقُّ هو الله، فهذا دليل كمال قدرته، وقوله عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ دليل كمال علمه. وتدلّ آيةُ وَهُوَ الْحَكِيْمُ الْخَبِيْرُ على إصابة أفعاله وعلمه تعالى بحقائقها فلا يشابهه أحدٌ.[١٨]

---

[١٥] **نفس المرجع**، ج. ٣١، ٤٣.

[١٦] **نفس المرجع**، ٥٣.

[١٧] عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، **معارج التفكّر ودقائق التدبّر**، ج. ١١، ط. ١، (دمشق: دار القلم، ١٢٤١ هـ – ٠٠٠٢ م)، ٩٩٢.

[١٨] الرازي، **التفسير الكبير**...، ج. ٣١، ٤٣.

سورة المؤمن الآية ٨٦

كانت آية كُنْ فَيَكُوْنُ في هذه السورة متعلّقةً ببيان تطوّر خلق الإنسان. إنّ نقل الإنسان من كونه ترابا ثمّ نطفةً ثمّ علقةً ثمّ طفلا ثمّ بلوغ الأشدّ ثمّ الشيخوخة لا يقوم بأداء هذا التطوّر إلّا الإلهُ القادرُ، ودليل وجود هذا الإله قوله تعالى هُوَ الَّذِيْ يُحْيِيْ وَيُمِيْتُ. وذلك لأنّ بنية الأبدان مركّبة من أعضاء مختلفة في المقدار والشكل والترتيب والصلابة والرخاوة، وهذه الأجزاء المختلفة في الصفات والأحوال تتولّد من النطفة.[١٩] وكذلك الانتقال من الحياة إلى الموت وضدّه يدلّ على ذلك الوجود الأعظم.

ولقوله تعالى فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ وجوه. الأول أنّ الله لا يتعب في عمليّة هذا النقل ولا يحتاج إلى آلة وأداة ما. فيظهر نفاذ قدرته في الكائنات والمحدثات بلا معارض ولا مدافع لقوله تعالى كُنْ فَيَكُوْنُ. والثاني أنّ الله يعبّر عن الإحياء والإماتة بقول كُنْ فَيَكُوْنُ، لأنّ نقل الإنسان التدريجي بتلك الصفات المذكورة يسيرٌ له تعالى و لا سيما حدوث الحياة لجوهر الروح النطقية به في دفعة واحدة وكذلك حدوث الموت للجوهر. والثالث أنّ الله الذي شرح انتقالات الإنسان بالتطور من المني والدم جَعَلَ للناس أباهم الحادث دون واسطة المني والدم، فأوجده الله كالبداية. وذلك لاستحالة التسلسل ووقوع الحادث في الأزل. فتعبير هذا المعنى أنسبُ بقول كُنْ فَيَكُوْنُ.[٢٠]

سورة النحل الآيات ٨٣–٠٤

فسّر الرازي هذه الآيات بعرض المسائل الكلاميّة فيها. والمسألة الأولى متعلّقة بإنكار المنكرين القائلين ببطلان نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام الذي يؤدّي إلى بطلان البعث والحشر والنشر. والحشر والنشر يسيران على الله، لأنّه تعالى غير متوقّف في الإيجاد والتكوين بقدرته ومشيئته لا يعارضه تعالى أحدٌ. والتعبير لهذا

---

[١٩] فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الرازي، **المطالب العالية من العلم الإلهي**، ج. ١، ط. ١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م)، ٨١٢.

[٢٠] الرازي، **التفسير الكبير**...، ج. ٧٢، ٧٨.

النفاذ الخالي عن المعارض قوله إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ. ولما كان الله قادرا على الإيجاد في البداية كان قادرا عليه في الإعادة.[٢١]

ومن المسائل في آية إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ زعمٌ أنّ قولَ كُنْ خطاب مع المعدوم وكذلك الموجود للأمر بتحصيل الحاصل وهذا محال. والجواب من الرازي أنّه تمثيلٌ لنفي الكلام وخطاب مع الخلق بما يعقلون، ولأنّ ما أراده الله كائنٌ على كلّ حال وعلى ما أراده تعالى من الإسراع. واللام في قوله لِشَيْءٍ ولَهُ للتبليغ وهو لام السبب أو لأجل الإيجاد.

وأكّد الرازي قدم كلام الله بقول كُنْ. قد أخبر الله حقيقة البعث الذي هم ينكرونه، مع أنّ الخبر كلامُه تعالى. وكان ذلك الخبر في الأزل، ولكنّ إضافته مختلفةٌ وفق الأوقات والألفاظ الدالّة عليه، وذلك على علم الله. وإذا كان قول كُنْ محدثا لافتقر في حدوثه إلى كُنْ آخرَ فيتسلسلَ وهذا محال،[٢٢] لأنّ كلَّ ممكن مفتقرٌ في سلسلة الحاجة إلى واجب الوجود لذاته.[٢٣] فالتسلسل لهذا القول باطل فهو قديم وليس حديثا.

سورة البقرة الآيتان ٦١١–٧١١

شرح الرازي أنّ آية وَقَالُوْا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا دليل على مقابح أفعال اليهود والنصارى والمشركين، لأنّهم أثبتوا لله الولدَ. ويكون الاحتجاج على هذا الإثبات قول الله لَهُ مَا فِيْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ويستدلّ الرازي وجوها به. والأوّل أنّ كلَّ ما سوى الموجود الواجب ممكنٌ لذاته، وهو محدثٌ. وكلُّ محدث مخلوقٌ لواجب الوجود، فلا يكون ولدا. وإنّ كلّ ممكنٍ لذاته يحتاج المؤثّر للحصول إلى الوجود بخلقه الله تعالى وإيجاده وإبداعه، فهو عبدُه تعالى.[٢٤] والثاني أنّ إضافة وجود الولد لله إمّا أن يكون الولد قديما أزليّا أو محدثا، وكانت أزليّة الولد مستحيلةً. والثالث أنّ جنس الولد لازمٌ

---

[٢١] **نفس المرجع**، ج. ٠٢، ٢٣.
[٢٢] الرازي، **التفسير الكبير**...، ج. ٠٢، ٢٣–٣٣.
[٢٣] الرازي، **المطالب العالية**...، ج. ١، ٣٤١.
[٢٤] الرازي، **التفسير الكبير**...، ج. ٤، ٥٢.

أن يكون من جنس الوالد. ويقتضي هذا كونَ كلّ واحد منهما مركّبًا ومحدثا وهذا محالٌ. والرابع أنّ الولد مُتَّخذا للحاجة إليه في كبره ومرجُوّا لأن ينتفع والده بمعونته حينما كان عاجِزا عن أمور نفسه. والله غنيّ عزيز فالإثبات غيرُ مقبولٍ. وقد احتجّه الله بكونِ ما في السماوات والأرض عبدَه. فقال إذا قضى أمرا فإنّما يقول له كُنْ فَيَكُوْنُ، فمعنى مَا تتناول جميع الأشياء.

وشرح الرازي أنّ معنى كلمة القنوت دوام الممكنات وبقاءها بالله ولأجله تعالى، فلا تنقطع حاجتُها إلى مؤثِّرها حَالَ حدوثه أم حَالَ بقائه. وكانت كلمة البديع في قوله تعالى تُتمّ الكلام الأوّل بَلْ لَهُ مَا فِيْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وبيّن الله عن كيفيّة إبداعه الشيء، فإذا أراد أن يُبدع شيئا قال كُنْ فَيَكُوْنُ، لهذا قال تعالى وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ.

وفسد مراد قول الله للشيء كُنْ فعندئذ يتكوّن ذلك الشيء. وكان خطاب الله المخلوقَ بِكُنْ قبل دخوله في الوجود أو حال دخوله فيه باطلا. واحتجّ الرازي بأنّ الله قادرٌ يصحّ منه الفعل أو تركه وفق إراداته. وإذ لا يزال المريد متعلّقا بقول كُنْ عند إرادته فلا يكون قادرا على الفعل إلّا عند تكلّمه بِكُنْ. واحتجّ أيضا بأنّ كُنْ لو كان له أثرٌ في التكوين لكان أحدٌ إذا تكلّم به وجب له التأثير، وهذا فاسدٌ. واحتجّ أيضا بتأخُّر لفظِ كُنْ في بيان مماثلة عيسى بآدم عن خلقه. فالأمر الذّي كان كلامَ الله موجودٌ في الأزل، ومأموره معدوم، ثمّ يبقى الأمرُ مستمرّا إلى أوان إيجاد المأمور.[٢٥] و المراد لقول الله فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ سرعة نفاذ قدرة الله في تكوين الأشياء. ولا يخلق الله الأشياء بفكرة ولا معاناة ولا تجربة.[٢٦]

سورة آل عمران الآيتان ٧٤–٨٤

كتب الرازي أنّ المفسّرين قالوا في تفسير هذه الآيات أنّ مريم إنّما قالت ذلك القول إلى ربّها لأنّ التبشير به يقتضي التعجب ممّا وقع في نفسها على خلاف العادة. وقد كان هذا التفسير مقرَّرا في قصّة زكريا عليه السلام. وكتب الرازي أنّ

---

[٢٥] لرازي، **محصل أفكار المتقدمين...**، ٤٨١.

[٢٦] الرازي، **التفسير الكبير...**، ج. ٤، ١٣.

تفسيرَ قولِه تعالى إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُوْلُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ مُتقدِّمٌ في سورة البقرة، وقد بحثته الباحثة قبله.

سورة آل عمران الآية ٥٩

إنّ سبب نزول هذه الآية سؤال وفد نجران للرسول: كلّ آدميٍّ له أبٌ، فما شأن عيسى لا أبَ له؟ فأنزل الله هذه الآية. ولما كان الله قادرا على أن يخلق آدم من تراب كان قادرا على أن يخلق عيسى من دم مريم.[٢٧] والله بقدرته قادرٌ على هذا الفعلِ، مع أنّ القدرة عبارةٌ عن الصفة التي يكون الموصوفُ بها متمكّنا من الإيجاد والتكوين ونقل الشيء من العدم إلى الوجود.[٢٨] فصحّ ما فعله الله من خلقِ عيسى عليه السلام من دم مريم، لأنّه قادر على إيجاده من العدم إلى الوجود بهذه الطريقة.

وإنّما الإشكال في قوله خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ أدخله الرازي كالمسألة الرابعة في تفسيره. وذلك اقتضاءُ خلقِ آدم إلى التقدّم على قوله تعالى كُنْ، فهذا لا يجوز. والجواب الأوّلُ من الرازي أنّ الخلق هو التقدير والتسوية المتعلّق بعلم الله بكيفيّة الوقوع والإرادة والإيقاع على الوجه المخصوص. وتقَدَّمَ كلُّه على وجودِ آدم عليه السلام تقدُّمًا من الأزل إلى الأبد. وأمّا قوله كُنْ فهو عبارةٌ عن إدخاله عليه السلام في الوجود، فلذلك ثبت تقدّمُ خلقِ آدم على ذلك القول.

والجواب الثاني أنّه تعالى خلقه من الطين ثمّ قال له كُنْ. ويقال لذلك الهيكل بحيث سيصير آدم عن قريبٍ ما سمّاه الله بآدمَ، وهذه التسميةُ تسميةٌ لما سيقع بالواقع. والجواب الثالث أنّ فائدة قوله تعالى ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ

---

[٢٧] **نفس المرجع**، ج. ٨، ٢٨.

[٢٨] دغيم، **موسوعة مصطلحات...**، ٤٦٥.

فَيَكُوْنُ تراخي خبرِ خلقِ آدم. وقوله تعالى خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ أو صيّره الله خلقا سويّا ثم أتى الله بالخبر أنّ خلقه تعالى آدم بأنْ قال له كُنْ.[٢٩] وهذا دليل بأنّ الله قد اقتضى خلقَ آدم قبل قوله تعالى بِكُنْ.

خاتمة

إنّ آية كُنْ فَيَكُوْنُ مشهورة بين المجتمع الإسلامي. وقد أخطأ العوّام المسلمون الذين قالوا بأنّ الله إذا قال كُنْ لشيء سيكون ذلك مباشرا دونَ عمليّةٍ. والفهم باعتماد الله على قول كُنْ للإيجاد باطل، فلا حكمة فيه. فيحتاج هذا الفهم الباطل إلى الإصلاح. ورأت الباحثة أنّ مطابقة تفسير الرازي لإصلاحه وكشف المعنى المراد لقول كُنْ فَيكون.

فسّر الرازي آية كُنْ فَيَكُوْنُ بأنّها تدلّ على سرعة نفاذ قدرة الله جل جلاله ومشيئته في تكوين الكائنات وإيجاد الموجودات بلا مُعارِضٍ ولا مُدافِعٍ له. فلذلك لا يكون مرادُ آيةِ كُنْ فَيَكُوْنُ أمرا للمعدوم لأنّه لا يصحّ أن يكون المعدوم شيئا. فمفهوم الكلام أنّه تعالى يريد شيئا إذا أراده. فظهر عدم مخالفة الشيء عن تعلّق إرادة الله بأمره. فتعلّق الإرادة بما أراد الله وجوده واجب لنفسها، وتعلّقها بما لم يرد وجوده ممتنع لها أيضا. وإنّ هذه الآية كلامُ اللهِ الثابتُ قِدمُه، وأمّا تلفيظ الله ذلك القولَ فحادثٌ، وذلك إمّا أن يكون أمرا أو خبرا. وجاز حملُ هذه الآيةِ إلى المعنى الحقيقي أم إلى المعنى المجازي. والمعنى الحقيقي أنّه يدلّ على ما وراء الاعتقادات والإرادات في حقّ الله تعالى، وهو مغاير لإرادته ولعلمه تعالى. والمعنى المجازي أنّ هذا النفاذ كأمر للمأمور المطيع بأمر آمره يفعل به دون توقّفٍ.

مصادر البحث

الأنصاري، فريد. ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م. **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**. الطبعة الأولى. الدار البيضاء: النجاح.

[٢٩] **الرازي، التفسير الكبير...**، ج. ٨، ٤٨.

دغيم، سميح. ٢٠٠١ م. **موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي**. الطبعة الأولى. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

الذهبي، محمد حسين. ٢٠٠٠ م. **التفسير والمفسرون**. الجزء الأوّل. الطبعة السابعة. القاهرة: مكتبة وهبة.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي. ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م. **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**. الجزء الأوّل والرابع والثامن والثالث عشر والعشرون والواحد والعشرون والسادس والعشرون والسابع والعشرون. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر.

_____. **الأربعين في أصول الدين**. ١٩٨٦ م. الجزء الأوّل. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة الكلّيّات الأزهر.

_____. د. ت. **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلّمين**. القاهرة: مكتبة الكلّيات الأزهر.

_____. ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م. **المطالب العالية من العلم الإلهي**. الجزء الأوّل. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتاب العربي.

_____. ١٤٣٦ هـ/٢٠١٥ م. **نهاية العقول في دراية الأصول**. الجزء الثاني. الطبعة الأولى. بيروت: دار الذخائن.

العلواني، طه جابر. ١٤٣١ هـ/٢٠١٠ م. **الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته**. الطبعة الأولى. القاهرة: دار السلام.

علي ايازي، محمد. ١٢١٢ هـ. **المفسّرون حياتهم ومنهجهم**. الطبعة الأولى. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

محجوب، وجيه. ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٥ م. **أصول البحث العلمي ومناهجه**. الطبعة الثانية. عمان: دار المناهج.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنّكة. ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م. **معارج التفكّر ودقائق التدبّر**. الجزء الحادي عشر. الطبعة الأولى. دمشق: دار القلم.